من جماليات البنية اللفظية في الخطاب القرآني

د. السيد محمد سالم
جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)

الملخص :

في هذا البحث يسلك الباحث طريقا جديدا،حين يقف على الأسرار البلاغية للفرائد القرآنية، ويبين فيها إعجـــاز القــرآن البياني واللغوي لتلك الفرائد. وهو يقصد بالفرائد.. كل كلمة لم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة ولم تتكرر فـــي أي ســـياق آخر... حتى جذرها اللغوي لم يرد إلا مرة واحدة.

وقد أحصى الباحث فرائد الأسماء في القرآن الكريم، ولم يقف هنا إلا على القليل منها.. فكشف عن سر إعجازها وبلاغتها مستعينا بالسياق وبأثر البنية الصوتية والصرفية للفريدة القرآنية ووضح فيها النواحي الجمالية والأغراض الدينية لهذا التفرد.

الكلمات المفتاحية: الفرائد – إعجاز – تفرد – بلاغة- الفذة.

Abstract :

In this research, the researcher investigates the eloquent secrets of Quranic singularities. He exhibits in it the Qur'an's declarative and linguistic miracles. Singularities mean every word which do not appear in the Qur'an only once and do not recur in any other context ... even its linguistic root appears only once. The researcher has counted singularities names in the Qur'an in which he tackles only few of them. This leads him to uncover its miraculous and eloquent secrets depending on the context and the effect of acoustic and morphological structure of Quranic uniqueness. Also, he clarifies in it the aesthetic elements and religious purposes of this inimitable.

Key Words: singularities, miracle, uniqueness, eloquence, inimitable.

Résumé :

Dans cette recherche, le chercheur a choisis une méthode, lors qu'il trouve les secrets de la rhétorique dans les mots Coraniques qui n'a pas ressemblants, il montre le miracle du Coran au niveau linguistique et graphique de ceux mots. Le mot FRAID signifie: chaque mot ne figure pas dans le Coran qu'une seule fois et ne se reproduise pas dans un autre contexte; même ses racines linguistique n'est pas mentionne qu'une seule fois

Le chercheur a recensé les noms unique (Faraid) dans le Coran, il n'a pas trouvé que seulement quelques-uns d'entre eux.. Il a Révélé le secret de ce miracle en démontrant ces éloquent et appuyant sur le contexte et l'impact de la structure acoustique et morphologique unique de coran et il a expliqué les cotés esthétique et des fins religieuses de cette exclusivité.

Mots-clés: unique- miracle - unique – inimitables- rhétorique-.

مقدمة:

إن للأسلوب القرآني رونقاً وجمالاً لن تلمسه في غيره من الكتب السماوية السابقة،ولا حتى في نتاج فحول الأدباء والشعراء الذين اشتهروا بتملك زمام اللغة والتمكن والتصرف في أساليبها؛ لأن القرآن من أوله إلى آخره يبقى جارياً على نظام ثابت من السموّ في جمال اللفظ ، ودقة الصياغة، وروعة التعبير، وعمق المعنى، رغم تنقله بين موضوعات مختلفة وقضايا متنوعة ومواقف متباينة من القصص والتشريعات والمواعظ والحجج، إضافةً إلى ذلك ما اتسمت به اللفظة القرآنية من اتساقها الكامل مع المعنى، وجمال وقعها في السمع، واتساع دلالتها ومعانيها لما لا تتسع له - عادةً - دلالات الكلمات الآخرى من المعاني والكلمات. وتلك حقيقة لا مراء فيها ولا جدال حولها، حتى حار في نظمه - وإلى الآن - فحول علماء العربية والبيان.

ولهذا أقبل المسلمون على القرآن الكريم بشغف منذ صدر الإسلام يتدبرون آياته، ويتفهمون معانيه التي تحتويها ألفاظه، فحفظوه عن ظهر قلب، وجمعوه في مصحف واحد، وعكف العلماء على تبيان معاني غريب مفرداته، ووضعوا فهارس ومعاجم لألفاظه، وكتبوا في تفسيره وبلاغته وإعجازه. ولاتزال مسيرة التأليف والبحث في هذا المجال مستمرة حتى أيامنا هذه؛ لأن كلمات الله - تعالى - لا تنفد معانيها، وسيظل الإنسان يجد في آياته معيناً لا ينضب لبحثه وفكره وعقله وحياته.

ويكاد يُجمعُ العلماء على أنه لم ينل كتاب في الدنيا دراسات فيه وحوله مثلما نال القرآن الكريم؛ بيد أنه رغم استبحار ووفرة الدراسات القرآنية، إلا أن القرآن لا يزال يستنهض الباحثين لمزيد من البحث في آفاقه الممتدة التي لا تتوقف عند نهاية﴿**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾[1] ؛ ولأن القرآن هو خاتم الكتب السماوية إلى يوم الدين، إذن ستظل معجزاته باقية ببقائه، لا تنفد عجائبه، ولا تنقضي غرائبه. ومن هنا فالقرآن زاخر بالمعجزات المتنوعة والمتعددة، ومهما أُعطي البشرجميعاً بلاغة في الخطاب، وقوة في البيان، وفصاحة في التعبير لن يأتوا بمثل ما جاء فيه ولو اجتمعوا﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[2].

وأخص بالذكر منها ما يتعلق بالإعجاز البلاغي واللغوي، والذي يستحق أن نقف عنده مبجّلين ومسبحين بحمد بانيه وباريه. ليظل شاهداً ثابتاً على وحدانية الله -سبحانه وتعالى-.

وسيقف هذا البحث مع بعض ألفاظ القرآن الكريم التي لم تتكرر في القرآن كله حتى إن جذرها لم يتكرر في أي سياق آخر في القرآن كله؛ لِيُثْبِتَ سر تفردها، والتي سُمِّيت بـــ (الفرائد).

*** مشكلة البحث:** ولقد تمثلت **مشكلات** هذا البحث فيما يأتي:

1- ماهية الفرائد القرآنية التي وردت في القرآن الكريم بشكلعام وفرائد بعض الأسماء الفذة بشكل خاص.

2- مكانة الفرائد القرآنية عند النقاد والبلاغيين وأهميتها، وإلى أي مدى تمت دراستها من قِبَل العلماء حتى الآن.

3- كيفية دراسة هذه الفرائد القرآنية من منظور لغويّ بلاغيّ سياقيّ من أجل إثبات تفردها في سياقها وأسباب هذا التفرد، وإظهار إعجاز القرآن في تناوله لمثل هذه الكلمات.

4- العلة في عدم تكرارها في سياق مشابه لسياقها، أو ذكر مرادف لها في مكانها.

5- النكات البلاغية والأسرار البيانية التي يمكن الكشف عنها من خلال الفرائد القرآنية.

---

(1) سورة الكهف، آية رقم:(109).

(2) سورة الإسراء، آية رقم:(88).

- **أهداف البحث:**

1- التعريف بالفرائد لغة واصطلاحاً.

2- الوقوف على ما إذا ورد ذكر لمصطلح الفرائد عند النقاد والبلاغيين وكذلك عند الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن الكريم.

3- معرفة الكيفية التي تناول بها النقاد والبلاغيون الفرائد، وكذا الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن.

4- تقديم نموذج لتحليل شامل لبعض ألفاظ القرآن، ليكون نبراساً ومعيناً لتحليل آخر يشمل بقية ألفاظه بطريقة أكثر عمقاً، وأحسن عرضاً، وأشمل نفعاً.

5- التعريف بهذه الكلمات ولفت النظر إليها من الوجهة البلاغية، يساعد الدارسين والباحثين في تقديم بحوث جديدة تتناولها من جوانب آخرى، أو إضافة الجديد حولها.

6- دراسة كل فريدة قرآنية لغوياً وصرفياً وصوتياً، وما يترجح لها من المعاني التي يقتضيها السياق القرآني، ثم إظهار دورها في السياق لمعرفة سرها البلاغي، وإثبات ما لها من خصوصية وتفرد،ومكنَّها هي وليس غيرها من التصدر في هذا المقام خاصة وبجدارة.

- **منهج البحث:** ومنهجي في هذا البحث هو **المنهج التكاملي** الذي يمزج بين **المنهج التاريخي** الذي يتتبع الظاهرة في أصل نشأتها، وأول من أطلقها واستعملها مروراً بها عبر الأزمنة إلى ما استقرت عليه الآن، و**المنهج التحليلي اللغوي** والذي يفيد في تحليل الكلمات لغوياً لإدراك المعنى، ثم **المنهج الوصفي** الذي يرصد خصائص الظاهرة وملامحها،ثم بيان هذا التفرد، وآثاره البلاغية، وقيمته الجمالية، وسره البياني الذي يعتبر عملاً فنياً خالصاً ينطوي تحت **المنهج الفني**.

- **أهمية البحث:** تكمن **أهمية** هذا الموضوع في جوانب مختلفة منها

  - إن مما يزيد على ربع هذه الألفاظ وتلك الكلمات لا تكاد تستخدم في كلام الناس وحتى في كتابات المثقفين، بل إن نسبة كبيرة منها هي ألفاظ غير مستخدمة، ومجهولة المعنى حتى لدى المتخصصين في اللغة، وتكمن أهمية الموضوع في أنه يساعد في التعريف بهذه الكلمات كخطوة أُولى نحو تعميم المعرفة بها وباستخدامها، وهي- فيما أرى - خطوة مهمة لتيسير فهم القرآن، ومعايشته بطريقة مغايرة لما هي عليه الآن.
  - إثبات وإظهار روعة البيان القرآني، والتعبير الحق البليغ عن أدق التفاصيل بأقل عدد من الكلمات بل من الحروف في نظام محكم بديع دون أن يُخِل ّ بالسياق في جرس موسيقي يأخذ بالألباب.
  - إن معرفة الإعجاز القرآني وإدراك عظمة الكلام الرباني من أهم المعارف وأشرفها، ومن أجلِّ العلوم وأعظمها، فمن نظر في إعجاز هذا الكتاب المبين وضحت عنده أهميته وفضله، وقديماً قالوا: (شرف العلم يتعلق بشرف المعلوم) والمعلوم هنا هو كتاب الله - تعالى - وكلامه ووحيه وبيانه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الذي لم يسمع بمثله بشر. فإظهار الإعجاز في هذا الكتاب وبيان العظمة في مبانيه ومعانيه من الأمور الواجبة والمهام الرائدة في كل زمان وفي هذا الزمان خاصة؛ لأمور منها:

- الحاجة الماسة إلى إظهار هذا الإعجاز للمسلمين وبيانه؛ حتى يخضعوا لأحكامه، وينافحوا عن حدوده، ويرغبوا فيه كما رغب أسلافهم.

- إن إظهار إعجاز القرآن وبيان أنه - قطعاً - كلام الله سبب عظيم من أسباب هداية الكافرين، وجذبهم لهذا الدين، والأمثلة على هذا - في عالمنا اليوم - كثيرة، خاصة في مجالات الإعجاز العلمي والتشريعي.

- وإن إظهار إعجاز القرآن كذلك مهم وضروري جدا للذين سقطوا ضحيةً للفكر الغربي الوافد من بني جلدتنا، الذين ردّوا ما جاء به القرآن من شرائع وحدود تحت دعاوى زائفة لا حصر لها، فما أن يلمسوا هذا الإعجاز يَعْظُم به يقينهم، ويقوى به إيمانهم، وبالتالي تصفو نفوسهم من تلك الشبهات، وترق أفئدتهم، ويعودوا إلى صوابهم.

ومن هنا يعتقد الباحث أن دراستها على نحو متكامل (لغوياً: أي من جهة معناها وما ذكرته المعاجم عنها - وصرفياً: أي من جهة اشتقاقاتها وفي أي قالب جاءت وعلى أي بنية تركيبية شُكِّلت - وصوتياً: أي من جهة صفات حروفها من شدة ورخاوة ولين وقوة وجهر وهمس وعلو واستفال وتفخيم وترقيق، وهل تناسبت وتناغمت أصوات حروف هذه الفريدة مع ما دلَّت عليه من معنى واتسقت مع الجو العام للآية التي وردت فيها– وبلاغياً: أي من جهة ما تنطوي عليه الفريدة من نكات بلاغية ولمسات بيانية وأسرار ولطائف فنية) يعتبر أمراً ضرورياً، يؤكد به إعجاز القرآن البيانيّ والبلاغيّ عن طريق التعبير بهذه الفرائد بين طيات سوره وآياته مع اختلاف المقامات والسياقات التي وردت فيها.

المبحث الأول: تعريف الفرائد لغةً واصطلاحاً

قبل الشروع فى هذا البحث يحسن إلقاء الضوء على عنوانه حتى تتضح صورته فالفرائد فى اللغة : جمع فريد وفريدة. والفريد هو : الفرد الذي لا نظير له، وهو أيضا، الدر إذا نظم وفصل بغيره، والفريدة: الشذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب فى العقد، وهى أيضا : الجوهرة النفيسة، ويقال: استفرد الغواص هذه الدرة : أى لم يجد معها أخرى، وتقول: فلان يفصل كلامه تفصيل الفريد وهو الدر الذي يفصل بين الذهب فى القلادة المفصلة، فالدر فيها فريد والذهب مفرَّد[3].

ــ ومن المعنى اللغوى للفرائد نستخلص أنها: الشيء النفيس الذي لا نظير له سواء أكان ماديا كالذهب والدر، أو معنويا كالكلام الفريد المفصل.

ــ وهذا المعنى اللغوى لا يبعد كثيرا عن المعنى الاصطلاحي للفرائد كما وردت فى كتب البلاغة والأدب والنقد[4].

ونلحظ تعريفها الاصطلاحي عند أول من أورد مصطلح الفرائد ابن أبى الإصبع المصرى (585ــ 654هـ) فى كتابه (تحرير التحبير) تحت عنوان (باب الفرائد)[5]، وذكر أن هذا الباب مختص بالفصاحة وحدد المصطلح بأنه (إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حب العقد تدل على عظم فصاحته وقوة عارضته وشدة عربيته؛ حتى إن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعز على الفصحاء غرامتها) أى خسرانها وفقدانها.. ثم استشهد على ذلك بفرائد من شعر أبى نواس وأبى تمام والبحترى فمن ذلك قول أبى نواس :ــ

وكأن سُعْدى إذ تُوَدِّعُنَا وقد أشرَأَبَّ الدمعُ أنْ يَكِفَا[6]

(1) انظر مادة (فرد) فى (لسان العرب لابن منظور) وأساس البلاغة للزمخشرى، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى، والمعجم الوسيط .. مجمع اللغة العربية

(2) ورد الحديث عن الفرائد كمصطلح بلاغى فى شرح الكافية البديعية ــ 245، وخزانة الأدب ــ 372، ومعترك الأقران - 407/1، والإتقان - 93/2، وشرح عقود الجمان ــ 150، وأنوار الربيع ــ 267/5، ونفحات الأزهار ــ 269، وتحرير التحبير ــ 576، والمزهر ــ 251/1، وانظر فى ذلك : معجم النقد العربى القديم ــ د. أحمد مطلوب ــ 160/2 بغداد 1989 م.

(3) انظر: تحرير التحبير ،ابن أبى الأصبع، تحقيق .د. حفنى شرف ص 576،578، ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1983م

(4) ديوان أبى نواس (الحسن بن هانئ) تحقيق وشرح : أحمد عبد المجيد الغزالى ص 432، ط. دار الكتاب العربى . بيروت 1984. واشرأب الدمع : ارتفع من شؤنه ليسيل وينحدر علي الخد ، يَكِفَ : مضارع وَكَفَ بمعني سال ــ وأصل اشرأب: مَدَّ عُنُقَهُ وارتفع كى ينظر. والمعنى أنه في لحظة الوداع ارتفع الدمع وسال علي الخد.. ولعل السر في تفرد الفعل (اشرأب) هنا يرجع إلي تشخيصه وبعث الحياة والحركة فيه وجعله يحس ويتمني ــوالمشبه به ورد في البيت الثانى هو :**رَشأٌ تَوَاصَيْنَ قِلَيَانُ بِهِ حتي عَقَدْنَ بِأَثْبِهِ شَنَفَاً**

ويعلق ابن أبى الإصبع على ذلك بقوله:" إن لفظة أشرأب من الفرائد التى لا نظير لها فى فصيح الكلام ولا يقع مثلها إلا على سبيل الندور".

ــ ثم استشهد من القرآن بآيات كثيرة مصدرا لذلك بأن ما جاء فى الكتاب العزيز من ذلك غرائب يعز حصرها .ومماستشهد به لفظ (خائنة) من قوله تعالى﴿ يعلم خائنةالأعين وما تخفى الصدور﴾ (غافر:19) معلقا عليها بقوله: (وهذه الفريدة فى هذه الآية أعجب من كل ما تقدم؛ فإن لفظة (خائنة) سهلة مستعمله كثيرة الجريان على ألسن الناس لكن على انفرادها؛ فلما أضيفت إلى الأعين حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها فى النفوس هذا الموقع العظيم بحيث لا يستطاع الإتيان بمثلها ولا يكاد يقع فىشئ من فصيح الكلام شبهها وقد استمر ابن أبى الأصبع على هذا النهج وهو يستشهد بقول الرسول-صلى الله عليه وسلم-: (إذا ذكر الصالحون فحيَّ هلا بعمر) فقد أشار إلى أن لفظة (حيَّ هلا) من الفرائد العجيبة وفيها من الفصاحة ما يعجز عن مثله كل فصيح.

ولا يخفى تأثر ابن أبى الإصْبَع هنا بنظرية النظم التىأرساها عبد القاهر الجرجانى الذى ينظر إلى الكلمة وحدها فلا يجد لها أى مزية ثم ينظر إليها وهى فى النظم فيجدها قد اكتسبت من البلاغة والروعة حداً كبيراً.. ولكن يؤخذ على ابن أبى الإصْبَع تعميم الكلام والاحتكام إلى الذوق الشخصى دون بيان الأسرار البلاغية التى أكسبت الكلمة تفردها وقيمتها.. وهذا ما حاولت فعله فى هذا البحث.

... إذن الفرائد فى القرآن تعنى تلك الكلمات التى اكتسبت صفة الفردية بدايةً لكونها كلمات قرآنية انتظمت فى سلك النظم القرآنى البديع وتعلقت بما قبلها وما بعدها تعلقاً قوياً؛ بحيث لا يغنى غيرها غناءها فى موضعها وبحيث لو سقطت لعز على الفصحاء غرامتها كما يقول ابن أبى الأصبع ثم هى اكتسبت ثانياً صفةً أخرى أكثر تخصيصاً وتقييداً وهى كونها (فذة) أى متفردة لم ترد فى القرآن إلا مرة واحدة ولم تتكرر في أي سياق آخر رغم تشابه السياقات أحياناً.

المبحث الثاني: الفرائد في التراث النقدي والبلاغي :

في هذا المبحث سنتتبع الفرائد تاريخياً من خلال النقاد والبلاغيين الذين تناولوها في كتبهم، وكذا الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن، وأيضاً من تناولها بمعناها ومدلولها المعروف الآن وسط البلاغيين، علنا نصل من خلال هذا كله إلي ماهية الفرائد عندهم، وكيفية تناولهم لها، وما الفرق بين ما طرحوه وما يطرحه البحث الآن في هذه الدراسة، وهل سنقدم رؤية جديدة من خلال هذا التناول -تختلف أو تتشابه مع رؤيتهم - الذي أحسب أنه سيحيط بها من خلال بنيتها وطريقة تركيبها، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها من كلمات، ثم من خلال سياقها، وما تفيضه على الجملة من ظلال نفسية أو صوتية أو بيانية، ثم أخيراً إظهار إعجازها البلاغي. ويبقى أمر يجب التنبيه عليه وهو أننا سنتناول الناقد أو البلاغيَّ من خلال أشهر وأكبر كتاب له؛ نحسب أنه جمع فيه خلاصة خبرته، وجُلَّ آرائه، زُبدة رصيده، وعصارة عقله في مجال النقد والبلاغة، ولا أعتقد أنه بسط كلاماً جديداً في تضاعيف كُتَيْبَاتِهِ الأُخَر، وبالتالي لا يفوتنا شيء مما له علاقة بموضوعنا في هذا الكتاب أو ذاك. ولوكان هناك شيء من هذا لكان هو أحرص وأسرع الناس على إظهاره، ونشره؛ حتى يُكتب له فضل السبق فيه، ولعلمنا اليقيني بشغفهم بالعلم وولَهِهِم بالمعرفة، وخاصة في موضوع كهذا أقصد – الفرائد – الذي هو جديد في بابه، فريد في مكانه.

أولاً: الفرائد عند النقاد و البلاغيين: وقد استقرأ الباحث التراث النقدي والبلاغي لمعظم النقاد والبلاغيين:

ومن خلال استقراء الباحث لكتبهم يمكننا ملاحظة ما يأتي:

أولاً: لم يتطرق واحد منهم إلى الفرائد بشكل واضح ومباشر كما هو الأمر الآن، بل كان التعرض للقرآن من خلال نظرة كلية شاملة لكل ألفاظه دون التوقف عند جزئيات منه، والمتأمل في قراءة كتبهم يجد دائماً فيما يخص ألفاظ القرآن -في حال التعرض لها- أوصاف ثابتة لا تتغير عند أي عالم منهم وهي: الفصاحة والبلاغة والجزالة

والغرابة والاقتدار، دون البحث والتعمق في مكامن اللفظة، وأسرار مجيئها على هذا النحو الذي سنحاول أن نطرقه في هذا البحث.

ثانياً: انصب جُلُّ اهتمام معظم النقاد على الشعر ونقده، وإظهار محاسنه وعيوبه، جيده ورديئه، ومقاييس القوة والضعف.... وغيرها كثير من القضايا التي تتمحور حول الشعر، ولم يكن حظ القرآن فيها إلا النقل والاستشهاد، والتدليل على صحة ما يقولون من خلال الآيات التي تتناص مع الشاهد الشعري، وذلك يظهر حتى من خلال عناوين كتبهم، فضلاً عن مباحثها.

ثالثاً: كان تناولهم للقرآن، وإظهار إعجازه من خلال آيات المشاهد أو -إن شئت فقل- آيات الصور الكلية التي تحتوي على أحداث مختلفة في مشهد واحد، وعرض مترابط، كما في قوله تعالى: ﴿**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾"[7] تناقلها الجميع، ومن تعرض للإعجاز ذكرها وما شاكلها بالشرح والتحليل، وهكذا.

رابعاً: حاول كثير منهم الانتصار للقرآن الكريم من خلال إثبات أنه يحتوي على كل علوم البلاغة من معان وبيان وبديع، فناً فناً، حتى وصل الأمر إلى حد لَيّ عُنق الآية، أو تحميلها ما لا تطيق من أجل إثبات وجهة نظره، وفكرته التي طرحها، وحُكمه الذي اتخذه، وربما الأمر لا يتطلب ذلك التعسف، وتلك الشدة في التعامل مع آيات القرآن، ومع هذا! تُحمد له نيته الحسنة، ودفاعه عن القرآن، وحرصه على أنه ما فرَّط في شئ.

خامساً: قرأت غيرَ مرةٍ عند عدد غير قليل منهم في مقدمات كتبهم أسباب تأليفها، وكان منها إظهار وإثبات إعجاز القرآن في بلاغته وفصاحته، وبعد رحلة في تقليب صفحات الكتاب، ومرافقة ما خطه بيمينه، ينسحب البساط - دون أن يشعر - من تحت قدميه، مخالفاً ما قد قطعه على نفسه في المقدمة من معالجة قضية الإعجاز؛ فينشرح صدرك، ويسيل لعابك، لما ستقتنصه من صيد سمين، سيُشبع نَهَمَك، ويَشفي غُلَّتك، وشيئاً فشيئاً تجد الأمر على غير المتوقع، من تناول قضايا أخرى - لا أقل من شأنها - ، وتأتي الرياح بمالم تشتهي السفن.

وهكذا لم نجد عند النقاد والبلاغيين القدامى كلاماً صريحاً مباشراً عن الفرائد القرآنية، اللهم إلَّا في القليل النادر دون إفراد باب خاص بها، بل جاءت في ثنايا الكلام، ولم تكن هي المقصودة.

ثانياً: الفرائد في الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن

لقد اطَّلع الباحث على الكتب التي تعرضت لبلاغة القرآن ومنها :

1- مجاز القرآن (لأبي عبيدة مَعْمَر بن المثنى)
2- معاني القرآن (للفرَّاء)
3- معاني القرآن (للأخفش)
4-تأويل مشكل القرآن (لابن قتيبة)
5- النكت في إعجاز القرآن (للرماني)
6- إعجاز القرآن (للباقلاني)
7- إعجاز القرآن (للخطابي)
8- المغني في أبواب التوحيد والعدل (لقاضي القضاة أبي الحسن عبد الجبار الآسد آبادي)
9- الرسالة الشافية (للجرجاني)
10- أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز (لعبد القاهر الجرجاني)

(7) سورة هود، آية رقم:(44).

11- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (للزمخشري):
12- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز(للرازي)
13- التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن (لابن الزُّمْلكاني)
14- البرهان في علوم القرآن (للزركشي)
ومن خلال الوقوف عند هذه الكتب لم نجد فيها ما يشفي غُلَّتنا في هذا الموضوع.

ثالثاً:الفرائد عند من أفرد لها أبواباً خاصة:

1- تحرير التحبير لابن أبي الأصبع "لقد تحدث ابن أبي الأصبع (585- 654ه) في كتابه "تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر"في الجزء الرابع عن"الفرائد، ثم استشهد على ذلك بفرائد من شعر **أبى نواس وأبى تمام والبحتري** فمن ذلك قول **أبى نواس**:

وكأن سُعْدى إذ تُوَدِّعُنَا وقد أشرَأَبَّ الدمعُ أنْ يكِفاَ[8]

ويقول معلقاً: "إن لفظة أشرأب من الفرائد التى لا نظير لها فى فصيح الكلام، ولا يقع مثلها إلا على سبيل الندور"[9]. ثم استشهد من القرآن بآيات ليدلل على كلمه. ومن خلال كلام ابن أبي الأصبع، نتبين أن ابن أبي الأصبع لم يتحدث كما قصدناها هنا في هذا البحث.

2- شرح الكافية البديعية (لصفي الدين الحلي): لقد أثبت صفى الدين الحلى (67-750ه) بابًا للفرائد فى شرح الكافية البديعية[10]... معرفًا بها وممثلاً لها بشواهد من القرآن الكريم ومن الشعرقائلاً: "وهو نوع مختص بالفصاحة دون البلاغة لأن مفهومه الإتيان بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء تتنزل من الكلام منزلة الفريدة من العقد، تدل على فصاحة المتكلم وقوة عارضته، حتى إن تلك الكلمة لوسقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها، كقوله تعالى:﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ**﴾[11] فقوله تعالى"الرفث" فريدة لا يقوم غيرها مقامها وبالتالي فهذا مختلف عما نحن بصدده في هذا البحث.

3- خزانة الأدب وغاية الأرب (للحموي): لقد ذكر أبو بكر علي بن عبدالله (767ه-837ه) الفرائد في كتابه قائلاً: "الفرائد نوع لطيف مختص بالفصاحة دون البلاغة"[12]، وذكر أمثلة أخرى من الشعر، وهو قد ذكر مصطلح الفرائد، ولكن تناوله لها مختلف عما نحن بصدده، بالإضافة أنه لم يحصها عددا.

4- شرح عقود الجمان (للسيوطي): وفى حديث السيوطى (ت 911ه) عن الفرائد فى كتابه (شرح عقود الجمان) نلاحظ أنه نسبها إلى نفسه ولم يشر إلى ابن أبى الأصبع أو إلى صفى الدين الحِلِّى وزعم أن (الفرائد والتنكيت) من زياداته، قائلاً: "وهذان النوعان من زياداتى وهما تختصان بالفصاحة دون البلاغة، فالفرائد أن يأتي بلفظة فصيحة تنزل من الكلام منزلة الفريدة من العقد، وتدل على فصاحة المتكلم بها)[13]، وساق الأمثلة نفسها التى ذكرها المتقدمون عليه.ومما هو جدير بالذكر أن السيوطي تكلم عن الفرائد في كتابين آخرين له، الأول هو: المزهر في علوم اللغة

(8)لتفسير ذلك انظر:هامش رقم(1)، ص12 من هذا البحث

(9) ابن أبي الأصبع، تحرير التحبير، ص221. وانظر:إبراهيم، كمال عبد العزيز،(2006 م).بلاغة الفرائد الفذَّة في القرآن الكريم(المضارع نموذجاً)، الدار الثقافية للطباعة والنشر، ص3، 2، ط1، القاهرة.

(10) الحِلِّي، صف الدين،(1983)م.شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، ت.د/نسيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ص245، ط1، دمشق.

(11) سورة البقرة، آية رقم:(187).

(12) الحموي، أبو بكر علي بن عبدالله، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار ومكتبة الهلال، ت/عصام شعيتو، ص297، ط1، بيروت، 1987م.

(13) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، شرح عقود الجمان، دار الفكر، ص150.

وأنواعها[14]، والثاني هو: معترك الأقران في إعجاز القرآن[15]، ولكن لم يشأ الباحث أن يفرد لهما صفحات في هذا البحث؛ لأن كلامه عنها مكرور، وهو نفسه الذي قاله في هذا الكتاب مع زيادات طفيفة. وعليه فلم يتعرض له بمثل ما يتعرض لها هذا البحث.

5- أنوار الربيع في أنواع البديع (للمدني): لقد ذكر علي صدر الدين بن معصوم الدين المدني (ت1120ه) مصطلح الفرائد في كتابه مردداً كلام من سبقه من العلماء قائلاً: "هذا النوع يختص بالفصاحة دون البلاغة...، تتنزل منزلة الفريدة من القصيدة،... كقوله تعالى: "الآن حصحص الحق"مكانها"[16]، ونلاحظ أنه استشهد بآيتين من القرآن فقط - وقد نقلها عن السابقين- وأكثر من الاستشهاد بالشعر، ولم يزد على هذا، وعليه فقد اختلفت الدراستان.

6- كتاب نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار (بفن البديع)[17]: وهذا الكتاب أو هذه البديعية التي ألفها الشيخ (عبد الغني النابلسي) على غرار ما مُدح به النبي- صلى الله عليه وسلم- في بردة البوصيري، وما تبعها من قصائد -سميت بالبديعيات- معارِضةً لها. ومن هنا نلاحظ أنه تحدث عن الفرائد، فوضع لها حدوداً، وأظن أنها لا تختلف كثيراً عما قاله السابقون، ولكنه لم يتعرض لفرائد القرآن في بديعيته. وبالتالي لا تتفق مع ما نحن بصدده في هذه الدراسة.

7- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (أحمد مطلوب): لقد تطرق الدكتور: أحمد مطلوب إلى الفرائد قائلاً: "والفرائد من مبتدعات المصري، وهذا النوع مختص بالفصاحة دون البلاغة؛..."[18]، وساق الأمثلة نفسها التي ذكرها الأولون، وهذا الكلام نفسه الذي ردَّده في كتابه معجم النقد العربي القديم[19]، وبالتالي تناوله لها يختلف بدوره عما سنقدمه في هذه الدراسة.

8- مفاريد الألفاظ في القرآن الكريم (دراسة لغوية)، محمود عبد الله عبد المقصود يونس، (رسالة ماجستير) جامعة الأزهر، مصر.1421ه/ 2000م: في هذه الدراسة تناول الباحث المفاريد القرآنية من الناحية اللغوية البحتة أي من الناحية الصوتية والصرفية والدلالية والمعجمية، وكذا من جهة فقه اللغة في هذه المفاريد ثم تتبعها كلها واستقصاها في القرآن الكريم وأردف لها معجما خاصاً في نهاية بحثه، وبهذا فالبحث فيه جزء متعلق بهذه الدراسة التي الباحث بصددها وهي معاني هذه الفرائد وما ورد عنها في المعاجم القديمة والحديثة، وعليه فإن هذه الدراسة تختلف عما سيقدمه هذا البحث فالدراسة اللغوية شق منها ولكن ستكون هي مرحلة أو درجة يصعد عليها ليصل إلى إعجاز هذه الفرائد البلاغي والبياني وسر تفردها إن وجد.

9- بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم (المضارع نموذجاً) (د/كمال عبد العزيز إبراهيم)[20]: وفي دراسته شرح الباحث أولاً عنوان بحثه وبالتالي شرح معنى الفرائد لغوياً، ثم تتبعها تاريخياً عند من تعرض لها ممن سبقه، ثم أحصاها

(14) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ت/محمد جاد المولى، 251/1، ط:الحلبي، مصر.(د.ت).

(15) السيوطي،(1988م)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، ج1، ص407، بيروت.

(16) المدني، صدر الدين بن معصوم،(1388ه)، أنوار الربيع في أنواع البديع(مخطوط)، ت/شاكر هادي شكر، م:النعمان، النجف الأشرف، ص672، 673.ط1. العراق.

(17) النابلسي، عبد الغني،(1299ه)، نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار بفن البديع، م:نهج الصواب، ص5، دمشق.

(18) السابق، ص103، نقلاً عن كتاب تحرير التحبير، ص576، وبديع القرآن، ص287.

(19) مطلوب، أحمد،(1989م)، معجم النقد العربي القديم، دار الشئون الثقافية العامة، ص160، 161، ط1، بغداد.

(20) إبراهيم، كمال عبد العزيز، بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم، ص45- 65.

عدداً، وجمعها من القرآن الكريم مثبتاً إياها في ملحق خاص في آخر الكتاب، ثم بيِّن أسباب اقتصاره على المضارع في هذه الدراسة، وشرح منهجه فيها وطريقة تعرضه لها، وكيفية تحليله لها. ولكنه اقتصر على المضارع فقط، وهذا يختلف عما سيقدم هنا؛ حيث سيتناول هذا البحث بقية الفرائد الأخرى.

المبحث الثالث: فرائد الأسماء الفذة في سورتي الفرقان والشعراء

1- فُلَاناً: ورد في قوله تعالى: ﴿**يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا**﴾[21]. والآية في الحديث عن الظالمين وشعورهم بالندم والخزي في عصيانهم لأوامر النبي واتباعهم لغيره.

يقول ابن فارس: "الفاء واللام والنون كناية عن كل أحد،.... هذا في الناس، وإن كان في غيرهم قيل: ركبت الفلانة والفرس الفلان"[22]. وكلمة فلان فيها من التجهيل والتنكير ما فيها، واستعملها السياق هنا في هذا المكان فقط لما ينطوي عليه من دلالات نفسية صعبة وجو مشحون بالأسى والندم البالغ، فلقد نزلت الآية في عقبة بن أبي معيط وقد كان خليلا مخلصاً ووفيّاً لأمية بن خلف، فلقد رُوي"أنه ذات يوم اتخذ ضيافة فدعا إليها رسول الله - عليه الصلاة والسلام – فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل فقال له أبيّ بن خلف وهو خليله: وجهي من وجهيك حرام إلا أن ترجع فارتد. فالمعنى

يا ليتني لم أتخذ أُبيًا خليلًا ، فكنى عن اسمه وإن أريد به الجنس ، فكل من اتخذ من المضلين خليلاً كان لخليله اسم علم لا محالة فجعل كناية عنه. وقيل: هوكناية عن الشيطان"[23]، فنلاحظ أنه كنى عن اسمه تحقيراً من شأنه وتقليلاً من فعله، وتنزيهاً أن يذكر اسمه على لسانه بسبب كرهه الشديد له لِما آل إليه بسببه. ونحن دائماً - في دنيا الناس- نستعملها مع أشخاص لا نحب ذكر أسمائهم لكراهةٍ أو لغيرها وهذا ما يتوافق مع مضمون الآية. ولقد استعملت فلان استعمالاً عاماً فأصبح: "كنايةً عن علَمِ كلِّ مَن يضلُّه كائناً مَن كان من شياطينِ الإنس والجنِّ وهذا التَّمنِّي من هو إنْ كان مسُوقاً لإبرازالنَّدمِ والحسرةِ لكنَّهم تضمنٌ لنوعِ تعللٍ واعتذارٍ بتوريث جنايتِه إلى الغير"[24]، فأصبحت كلمة (فلان) علماً على كل صديق ضالٍ مضل، وعليه نكون قد لمسنا بعد هذا سر تفرد (فلان) في هذا السياق والذي لا يغني غيره غناءها.

2- تَفْسِيراً: ورد في قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾[25]. وسياق الآية هو هجر الكفار للقرآن ومطالبتهم بإنزاله جملة واحدة.

وتقول المعاجم بأن الفَسْرُ هو: "كشف المغطى، والتفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل"[26]. ولقد وردت تفسيراً في آية تنطوي على استثناء مفرَّغ يشي بالمسارعة إلى إبطال حجج الكافرين ودرء براهينهم، ودحض أدلتهم، بما نأتيك به من الحق الواضح الأبلج والتفسير الذي هو غاية ما يكون من الحسن فلا يبقى معه غموض ولا إبهام، ولا استفسار أو استفهام، فهو كامل الوضوح دقيق الشروح تام المعاني سريع الإفهام. وعليه فكلمة (تفسيرا) هنا لا يغني غيرها مكانها من مثل: (بياناً- تفصيلاً- شرحاً- تعبيراً)؛ لأن كلمة تفسيراً تنطوي على كل هذا مع زيادة أنها تكشف الحجة والمحجة وتجلِّي الدليل وتظهر البرهان؛ ولأن المقام مقام مواجهة ومجابهة، ومقارعة ومقارنة؛ لذا ناسب أن يكون (تفسيراً) هنا في هذا المقام بل زاد عليها قائلاً: (وأحسن) أي: "ومعنى كونه {أَحْسَنُ}، أنه أحق في الاستدلال،

(21) سورة الفرقان، آية رقم:(28).

(22) ابن فارس.(1991م).مقاييس اللغة.ج4.ص447.

(23)النسفي،عبد الله بن أحمد.(1998/1419).مدارك التنزيل وحقائق التأويل.يوسف علي بديوي(محقق).بيروت: دار الكلم الطيب.ج2.ص442.

(24)أبو السعود.(د.ت).إرشاد العقل السليم.ج5.ص101.

(25) سورة الفرقان، آية رقم:(33).

(26) الرازي.(1910م).مختارالصحاح.ج2.ص2781.

فالتفضيل للمبالغة إذ ليس في حجتهم حسن أو يراد بالحسن ما يبدو من بهرجة سفسطتهم وشبههم فيجيء الكشف عن الحق أحسن وقعًا في نفوس السامعين من مغالطاتهم، فيكون التفضيل بهذا الوجه على حقيقته فهذه نكتة من دقائق الاستعمال ودقائق التنزيل"[27]. وكلمة "التفسير" جاءت على وزن تفعيل، للمبالغة في أنه يذهب اعتراضهم ويبطل شبهتهم على التوِّ. وعليه فقد تفردت هنا في هذا السياق.

3- ضَيْر: ورد في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا لَا ضَيرَ إِنَّا إِلى رَبِّنَا مُنقَلِبُون** ﴾[28]. الآية هو إيمان السحرة باللّه في المبارزة الحاسمة في مشهد عظيم مع فرعون وملَئِهِ.

يقول ابن فارس: "الضاد والياء والراء كلمة واحدة وهو من الضيّر والمضرَّة، ولا يضيرني كذا أي: لا يُضِيرُني"[29]. ولقد عبَّر السياق هنا بكلمة موجزة مختصرة سريعة واثقة متيقنة بوعد الله، غير متوقعة من أمثال هؤلاء الذين ما لبِثوا أن دخلوا في الإيمان منذ لحظات، ولكنها حلاوة الإيمان عندما يخالط بشاشته القلوب يرسخ ويثبت فلا حساب -ساعتها- للوقت أو الزمن، فالعبرة بمن صَدَق وليس بمن سبق؛لأنها لحظة كشف وإخلاص فمع غلظة التهديد، وقسوة الوعيد، وفظاعة العذاب إلا أنهم قالوا جملة واحدة وهذا شأن الحق دائماً ثابت قوي راسخ رده وإجابته هي أفعاله وليس كثرة الكلام، فكان رداً شافياً وافياً. فكل ما هددهم به فرعون هو نفع في - حقيقة الأمر- لهم؛ لأنه سيقرِّبهم إلى ربهم وهذا غاية ما يأملونه ويتمنونه في هذه اللحظة؛ ولذا جاء التعبير بـ (لا ضير)، وهذا ما أكدّه أبو السعود بقوله: . :"لا ضيرَ في ذلك بل لنا فيه نفعٌ عظيمٌ لما يحصلُ لنا في الصَّبرِعليه لوجهِ الله تعالى من تكفيرِ الخَطَايا والثَّوابِ العظيم، أولا ضيرَ علينا فيما تتوعَّدنا به من القتلِ أنه لا بُدَّ لنا من الانقلابِ إلى ربَّنا بسببٍ من أسبابِ الموتِ، والقتلُ أهونُها وأرجاها"[30]. وكلمة لا ضير هنا لا يغني غيرها غناءها من مثل: (ضرر- ضُر- ضرار) وكأن الضير لحظة تتلاشى مع تلاشي الموقف، لحظة خاطفة وسواء تم هذا العذاب فسيكون سريعاً لا نشعر به فهو قليل سريع كما تشير إليه حروف كلمة (ضير) فما يلبث أن يبدأ حتى يزول، وهذا ما لا تعطيه الكلمات الأخرى، فغيرها وكأن فيه استمرار لفترة أطول، أو يدوم لزمن أكثر، ولقد حذف السياق خبرها ليذهب بالقاريء كل مذهب من مثل: "لا ضير في تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف.لا ضير في التصليب والعذاب.

لاضير في الموت والاستشهاد.. لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون. وليكن في هذه الأرض ما يكون: فالمطمع الذي نتعلق به ونرجوه «أن يغفر لنا ربنا خطايانا» جزاء «أن كنا أول المؤمنين».. وإن كنا نحن السابقين.."[31]،

وكلمة ضير فيها إشارة منهم إلى تقليل وتحقير من شأن ما سيفعله معهم فرعون فقد اتضحت الأمور وانكشف الستار عن حقيقة وماهية الحياة، ورأوا ماذا أعدَّ الله لهم من نعيم مقيم بل هم أحرص منه على لقاء ربهم بالموت أو بغيره، وهذا ما لاتؤديه غيرها من الكلمات؛ لذا تفردت هنا في هذا السياق.

4- شرْذِمَة: ورد في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ**﴾[32]. وسياقها: غضب فرعون من السحرة وموسى، وتوعدهم بالاستئصال والهلاك.

(27)ابن عاشور.التحرير والتنوير.ج19.ص48.

(28) سورة الشعراء، آية رقم:(50).

(29) ابن فارس.(1991م).مقاييس اللغة.ج3.ص379.

(30)أبو السعود.إرشاد العقل السليم.ج5.ص138.

(31) قطب.(1402ه).الظلال. ج1.ص2597.

(32) سورة الشعراء، آية رقم:(54).

وفي معناها يقول **ابن فارس**: "الشرذمة هي القليل من الناس فالذال زائدة وإنما هي من شرمت الشيء إذا مزقته فكأنها طائفة انمزقت وانمارت عن الجماعة الكثيرة "[33]. وبقولة فرعون هذه (شرذمة) يريد أن يُهوِّن من شأنهم ويُغري قومه بهم، ويُشجِّعهم على مواجهتهم؛ لأنها طائفة خسيسة فى شأنها قليل عددها. يثير بذلك الحمية فـــى نفـــوس جنـــده، وهكذا شأن الظالمين مع معارضيهم، يبدأ بحرب إعلامية شديدة للتعبئة والتحفيز لمساندته؛ وليجد سنداً قويـــاً وشـــرعية للفتك بهم. وحروف الكلمة المختلفة توحي بمنتهى السخرية والاحتقار وبمدى الامتهان والازدراء مـــن فرعـــون لقـــوم موسى، وعبّر السياق هنا بهذه الكلمة؛ لأنه لا يغني غيرها غناءها من مثل: (طائفة - فئة- مجموعـــة....إلـــخ)؛ لأن شرذمة هي أقل ما يمكن أن يُعبر به لوصف عدد قليل من الناس فضلاً عن الدلالات الأخرى التي توحيها وتنسجم مـــع الجو النفسي الذي يعيشه فرعون وتعكس رأيه فيهم من احتقارهم والتقليل من شأنهم؛ لقلت هم نِسْبَةً إلى كثرة آل فرعون وقوتهم ومالهم عليهم من هيبة الاستعباد، والتعبيربالشرذمة موهم أنهم في غاية القلة، وفيه إشارة إلـــى تفـــرق قلـــوبهم، وأنهم منقطعون عن أي قوة، آيسون من أي إسعاف بمدد.

واللفظ موغل في القلة وهذا ما يؤكده النسفي بقوله :"والشرذمة الطائفة القليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة، ثـــم جعلهم قليلاً بالوصف، ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً. واختار جمع السلامة الذي هو للقلة أو أراد بالقلة الذلة لا قلة العدد أي أنهم لقلتهم لا يبالي بهم ولاتتوقع غلبتهم"[34]. ودخول أكثر من مؤكد على الجملة يدلك على مدى رعـــب وخوف فرعون منهم فاللام وإن وضمير الفصل واستعمال الضمير بدلاً عن التسمية مبالغة في تحقير شأنهم والتقليل من خطرهم، والإلحاح على ذلك، واللفظ يستعمل في سياق الذم أو القبح واستعمال السياق هنا تأكيد على مـــا كـــان يـــدور بصدر فرعون من ارتجاف لما سيؤول إليه مصيره.

وهذا هو دور الباطل دائماً مع الحق حرب دعائية للشحن وتعبئة الرأي العام بما يملكـــه مـــن وســـائل دعايـــة وإعلام. وعليه فقد تفردت الكلمة هنا في هذا السياق.

5- الطَّودِ: ورد في قوله تعالى: ﴿ **فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰمُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُـــلُّ فِـــرْقٍ كَـــالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾[35]. والآية في فرار موسى وقومه ولحاق فرعون بهم.

والطود: "الجبل العظيم"[36]، والمفسرون يذكرون: "أن الطود هو الجبل العظيم المنطاد في السماء"[37]، وهنـــا اســـتعمل السياق الطود أي: الجبل المتطاول أي المرتفع في السماء، والكلمة لا يغني غيرها غناءها في هذا الســـياق مـــن مثـــل: (الجبل-الْمُرْتَفَع...)؛ لأنه لو قال الجبل فلعل الجبل فيه انحناءات وانثناءات أو متعرجات، أما الطود فتوحي بالاســـتقامة على خط واحد دون تعرج ولا نتوء ولا بروز فضلاً عن أنه عظيم الارتفاع، وهذا ما لا يتأتى للجبل؛ لأنه أحياناً يكـــون الجبل منخفضاً إلى حدٍ ما، وهذا في حد ذاته معجز أن يصبح الماء السائل الذي لا يحجزه شيء، ولا يمنعه شيء مـــن الجريان والسيلان - إلّا إذا كان من سَدٍ أو ما شابه ذلك - أن يتماسك بنفسه وليس هذا فحسب بل يبقـــى شـــامخاً ثابتـــاً مرتفعاً دون تسريب أو تَفَلُّت أو حركة. والكلمة فيها تأكيد على قدرة الله المطلقة فإذا كان هناك جبال من صخور فهـــذه

(33) ابن فارس.(1991م).مقاييس اللغة.مرجع سابق.ج3.ص273.

(34) النسفي.(د.ت).مدار التنزيل وحقائق التأويل.مرجع سابق. ج2. ص471.

(35) سورة الشعراء، آية رقم:(63).

(36)البسومي.(2001م).معجم الفرائد القرآنية.مرجع سابق.ج1.ص34.

(37) الرازي.(1993م).مفاتيح الغيب.مرجع سابق.ج12.ص128.

جبال من ماء ثم وصفها بالعظمة وكأن الطود أكبر حجماً وأكثر ارتفاعاً من الجبل العادي، والتعبير بهذه الكلمة أبلغ في إظهار القدرة والتصرف والإعجاز.

والآية تنطوي على تشبيهمجمل،ذكرتفيه أداةالشبهوطرفي التشبيه وحذفوجهالشبه،أيكالجبلفيرسوخهوثباته. ووصف الطود بالعظيم تأكيداً على ارتفاعه الشديد الملفت للأنظار. وعليه فقد تفردت الطود هنا في هذا السياق، ولم تتكرر في غيره.

6- ريعٍ:ورد في قوله تعالى: ﴿**أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ**﴾[38]. الآية في الحديث عن قوم هود وتنبيههم إلى ما ينفعهم.

يقول ابن فارس: "الراء والياء والعين أصلان، أحدهما الارتفاع والعلو والآخر: الرجوع... ومن الباب الريع: الطريق "[39]. والكلمة كما يبدو من الأصل الأول، واختيارهم لمثل هذه الأماكن المرتفعة والمناسبة ينبيء عن خبرة في البناء وفنون في العمارة؛ وكأنهم لم يبنوا في أماكن غيرها؛ حيث لا تصل إليهم الأمطار ولا السيول فتهددها بخطر الهدم والتدمير، فهذا المكان المرتفع أكثر أمناً وأماناً، وهذا يتماشى مع ماقد اشتهروا به من قبل بفنون العمارة والزخرفة والنحت بدقة ومهارة. وهذه خصوصية من خصوصيات قوم هود ، وهي كانت بمثابة مراتع لهم عند الذهاب أو المجيء. وهذا ما يؤكده الإتيان بكلمة آية بعده أي علماً للمارة يخلدون إليه ويستريحون فيه. وجملة ذلك أنَّهُ المكان الْمُشْرِفُ، وهو الذي يتنافس البشر في مبانيه. وهذا ما نراه في دنيا الناس الآن، من البحث والتنقيب عن مكان مناسب وملائم وقريب ومُشْرِف على كل الطرق المؤدية والميسرة والسهلة للطرق الرئيسة والمؤسسات الحكومية والمواصلات العامة وغيرها من هذه المصالح.

وللرازي تأويلات يحسن هنا نقلها للتأكيد على ما ذهب الباحث إليه في تفسير كلمة (ريع)؛ إذ يقول: " إنهم كانوا يبنون بكل ريع علماً يعبئون فيه بمن يمرفي الطريق إلى هود – عليه السلام- ، والثاني: أنهم كانوايبنون في الأماكن المرتفعة ليعرف بذلك غناهم تفاخراً فنهوا عنه ونسبوا إلى العبث، والثالث: أنهم كانوا ممن يهتدون بالنجوم في أسفارهم فاتخذوا في طريقهم أعلاماً طوالاً فكان ذلك عبثاً لأنهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم"[40]،وعليه فقد انطوت ريع على ثلاثة تأويلات أتفق فيها مع الرازي؛ ولذا تفردت هنا كلمة ريع ولا يغني غيرها غناءها، فلا تجد كلمة تعطي نفس هذه الدلالات كلها والتي تنسجم مع السياق ومع طبيعتهم في حب العلو والتفاخر، ومع مهارتهم في ذلك. ولكن الشهيد سيد قطب له رأي في ذكر ريع هنا فقد حصره في معنى واحد فقط، وقد يختلف معه الباحث ولكنه رأي له وجاهته من حيث إنه يتفق ومقصود بعض الألفاظ في الآية، فيقول: "والظاهر أنهم كانوا يبنون فوق المرتفعات بنيانا يبدو للناظر من بعد كأنه علامة. وأن القصد من ذلك كان هوالتفاخر والتطاول بالمقدرة والمهارة. ومن ثم سماه عبثا. ولو كان لهداية المارة، ومعرفة الاتجاه ماقال لهم: «تعبثون»..

فهو توجيه إلى أن ينفق الجهد، وتنفق البراعة، وينفق المال فيما هو ضروري ونافع، لا في الترف والزينة ومجرد إظهار البراعة والمهارة "[41]،وأيا ما كان الأمر فلقد تفردت هنا (ريع) في هذا السياق.

(38) سورة الشعراء، آية رقم:(128).

(39) ابن فارس.(1991م).مقاييس اللغة. ج2.ص467، 468.

(40) الرازي.(1993م).مفاتيح الغيب.مرجع سابق.ج24.ص135.

(41) قطب.(1402ه).الظلال.مرجع سابق.ج5.ص2609.

7- فَارِهِينَ:ورد في قوله تعالى: ﴿**وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ**﴾[42]. والآية في الحديث عن قصة صالح مع قومه واعتراضه علي كثير من سلوكياتهم وتصرفاتهم.

وعن أصلها يقول ابن فارس: "الفاء والراء والهاء: كلمة تدل على أَشَر وحِذق من ذلك الفاره الحاذق بالشيء"[43]، ولقد جاءت الكلمة في مَعْرِض الأسلوب الاستنكارى التعجبي من صنيعهم هذا، وجاءت فارهين تعليلاً لهذا الإنكار، وهذا هو شأن القرآن مع الذين لا يعقلون التوبيخ في أسلوب ساخر مستنكر، والمدقق في اشتقاق الكلمة يجدها تنطوي على اشتقاقين كليهما يتماشى مع السياق: الأول: هو فَرُه: من الفره: وهوشدة الفرح؛ لأنهم جعلوها ذات منظر جيد، متنافس ينفي عمارتها، فيستمتعون ويفرحون بالنظر إليها، من غير حاجة إلى السُّكنى فيها، والثاني من: فرِه، أي حذق، أي حاذقين بنحتها من الفراهة: وهي النشاط، فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب، وعليه فلا تعطي كلمة أخرى نفس هذه الدلالات والتي تنسجم مع الخيط الفكري والدلالي مع سياق الآية، وعليه فلم يغن غيرها مكانها، والقصد أنهم يُضَيِّعُون أوقاتهم وأعمارهم فيما لا فائدة فيه ولا حاجة لهم به، فالأولى أن تنفق الأوقات وتشحذ الهمم وتستغل العزائم وتوجه القوى والإمكانات في طاعة الله والبحث عما يُقرِّبهم منه، ولقد عبَّر بها هنا للتأكيد على أنها جهود ضائعة وأوقات مهدورة، لتعليل هذ النحت لتشييد بيوتٍ هو نوع من أنواع التسلية والترفيه وإظهار البراعة والعضلات فقط، ولوكان لهم به حاجة ما أنكر عليهم نبيهم هذا الصنيع بل سيدفعهم إليه ويشجعهم عليه؛ حيث من المندوب تعمير هذه الأرض. وهذا ما يؤكده حقي بقوله: "والغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية وهى طلبا للمأكول والمشروب والمساكن الطيبة وكل هذه اللذات من لذات أهل الدنيا الغافلين"[44].

ومن خلال ما تقدم نلحظ أن الكلمة تفردت هنا في هذا السياق.

خاتمة: وبعد الوصول إلى نهاية المطاف توصل البحث إلى جملة من **النتائج** وهي:

1- عدد فرائد الأسماء الفذة في القرآن الكريم كثيرة جدا وصلت إلى مئتينوواحد وثمانين فريدة ، توزعت بين سوره، لم نعرض منها في هذا المقام إلا النذر اليسير؛ وذلك نظرا للالتزام بمنهجية البحث.

2- بعد هذا الطواف حول الأسرار البلاغية للاسم الفريد في القرآن الكريم ، يتضح لنا أن العامل الأهم والأغلب وراء هذا التفرد هو سياقُ كلِّ فعل أو مَقامه الذي يقتضي مجيء هذا الاسم أو ذاك ببنيته الصوتية والصرفية وبالنظم الذي ورد فيه؛ إذ إنه بهذه الصفة يؤدى من المعاني والتأثير والجمال الفني مالا يؤديه غيره، وأنه - وللسبب نفسه- لم يتكرر مرة أخرى، إما لأن الموقف لم يتكرر وهذا ما لاحظناه في هذه الأسماء أو لأن الموقف قد تكرر ولكن السياق أو المقام اختلف في بعض التفاصيل التي كانت سببًا في اختيار فعل آخر كما رأينا.

3- لم نجد عند النقاد والبلاغيين القدامى كلاماً صريحاً مباشراً عن الفرائد القرآنية، اللهم إلَّا في القليل النادر دون إفراد باب خاص بها، بل جاءت في ثنايا الكلام، ولم تكن هي المقصودة، ولم يتطرق واحد منهم إلى الفرائد بشكل واضح ومباشر كما هو الأمر الآن، بل كان التعرض للقرآن من خلال نظرة كلية شاملة لكل ألفاظه دون التوقف عند جزئيات منه، والمتأمل في قراءة كتبهم يجد دائماً فيما يخص ألفاظ القرآن – في حال التعرض لها- أوصاف ثابتة لا تتغير عند أي عالم منهم وهي :الفصاحة والبلاغة والجزالة والغرابة والاقتدار، دون البحث والتعمق في مكامن اللفظة، وأسرار مجيئها على هذا النحو.

4- لم نعثر على أي حديث عن الفرائد عند الدراسات التي تعرضت لبلاغة القرآن الكريم.

---

(42) سورة الشعراء، آية رقم:(149).

(43) ابن فارس.(1991م).مقاييس اللغة.مرجع سابق.ج4.ص496.

(44)حقي.(1287ه).روح البيان في تفسير القرآن.مرجع سابق.ج9.ص447.

5- نعترف بأن بعض الأسماء في هذا البحث كانت عَصيَّة أَبِـيَّةً فلم تبح لي بسر تفردها رغم إحساسي الغامض بهـذا السر وشوقي العارم لمعرفته، وحينذاك كنت أكتفي بالطواف حول حصن هذا الاسم المنيع ألـتمس بلاغـة سـياقه ومقامه. لعله في المستقبل يبوح لي أو لغيري من الباحثين بهذا السر، وليعذرني القارئ في ذلك ، فحسـبي أننـي - فيما أعلم - أرود طريقًا غير معهود ومجالاً غير مسبوق.

6-انصب جُلُّ اهتمام معظم النقاد على الشعر ونقده، وإظهار محاسـنه وعيوبـه، جيـده ورديئـه، ومقـاييس القـوة والضعف... وغيرها كثير من القضايا التي تتمحور حول الشعر، ولم يكن حظ القرآن وبلاغته – إلا القليل- فيها إلا النقل والاستشهاد، والتدليل على صحة ما يقولون من خلال الآيات التي تتناص مع الشاهد الشعري، وذلـك يظهـر حتى من خلال عناوين كتبهم.

8- جاءت الفرائد عند من تناولها بما نقصده في هذا البحث، جزئية، أومقصورة على بعض الألفاظ دون تقسيم أو تحديد لها وذكرها على سبيل المثال فقط، وإن كان فمن جهة اللغة والغرابة والاقتدار والإعجاز، ولم يشرع أحد في تحليلها بالشكل الذي يأتي عليه هذا البحث اللهم إلا دراسة واحدة ولكنها تناولت المضارع، وهنا تناولنا الماضي.

9- أسهمت الفريدة القرآنية في تبيين جمال الصورة البيانية، فكانت عنصراً مهماً من عناصر الجمال فيه.

10- إن معرفة السياق ودراسة الفريدة من خلاله، وكذا الفرق اللغوي لهما أصدق مقياسين لتحديد تفرد الفريدة.

11- ظهر للباحث أن دلالات الفرائد في القرآن الكريم ارتبطت بالمعنى التفسيري واللغوي إلى حد بعيد، بل إنـه فـي أحايين كثيرة يكون المعنى اللغوي هو نفس معنى الفريدة في الآية.

12- الفرائد القرآنية لها دلالتها في سياق الجملة فلا يمكن أن يرادف لفظٌ لفظاً آخر فيتساوى معه فـي المعنـى تمـام المساواة، بل إن الكلمة ذاتها لتتكرر في أكثر من سياق لتدلّ على معنى آخر مغاير في كل سياق، فإذا نظرنـا إلـى دلالة الكلمة المختارة في ظل تقديمها أدّى ذلك إلى إبراز المعنى في قوّة وجلاء، وساعد على تصوير المشـهد فـي تدفّق وحياة.

قائمة المصادر والمراجع :

أولا: القرآن الكريم.

ثانياً: المراجع

1-إبراهيم، كمال عبد العزيز،(2006م).بلاغة الفرائد الفذة في القرآن الكريم(المضارع نموذجاً)، ط1، الدار الثقافية، مصر.

2- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله محمد بن عبد الكريم، (1995م).المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المكتبة العصـرية، ت/ محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت.

3- الأخفش، سعيد بن مسعدة،(1411ه/1991م).معاني القرآن، ت/هدى محمود قراعة،مكتبةالخانجي،القاهرة.

4- الأسد آبادي، القاضي أبو الحسن عبد الجبار،(1380هـ/1960م)، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ت/أمين الخولي، مطبعة دار الكتب، القاهرة.

5- ابن أبى الأصبع، عبد العظيم بن عبدالواحد،(1983م).تحرير التحبيـر، ت/حفنـى شـرف، ط المجلـس الأعلـى للشـئون الإسلامية،القاهرة.

6- الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد،(1412ه).المفردات في غريب القرآن، ت/ صفوان عدنان داودي، دار العلم، بيروت.

7- الآمدي، أبو القاسم، (1992م).الحسن بن بشر، الموازنة بين أبي تمام والبحتري، ت/السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر.

8- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر،(د.ت).إعجاز القرآن، ت/ السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة.

9- البسومي، باسل سعيد،(2001م).معجم الفرائد القرآنية، مركز نون للدراسات، رام الله فلسطين.

10- البغدادي، عبدالقادر بن عمر،(1093هـ).خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ت/عبد السلام هارون،د.م.
11- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، (د.ت)الجواهر الحسان في تفسير القرآن،د.م.
12- ثعلب، أحمد بن يحى الشيباني، (1966م)، قواعد الشعر، ت/ د.رمضان عبد التواب،الخانجي، القاهرة.
13- الجاحظ، عمروبن بحر(ت255ه)، (1356ه/ 1938م).البيان والتبيين،تح/ عبد السلام هارون، مط/ مصطفى البابي الحلبي وأولاد، مصر.
14- الجرجاني، دلائل الإعجاز، (2004م)،ت/ محمود شاكر، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة.
15- الجرجاني،عبد القاهر بن عبد الرحمن،(1991م). أسرار البلاغة، ت/محمود شاكر، مكتبة الخانجي،القاهرة.
16- جعفر، قدامه، نقد الشعر، ت/محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت،(د.ت).
17-حقي، إسماعيل، (1287ه).روح البيان في تفسير القرآن(تفسير حقي).مطبعة العامرة.
18- الحلي، صف الدين،(1983م).شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، ت.د/نسيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.
19- الحموي، أبو بكر علي بن عبدالله،(1987م).خزانة الأدب وغاية الأرب،دار ومكتبة الهلال، ت/عصام شعيتو، ط1، بيروت.
20- الحموي، ياقوت،(1936م)، معجم الأدباء، دار إحياء التراث العربي، مطبوعات دار المأمون، بيروت.
21- الخفاجي،عبدالله بن سنان، (1982م).سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت.
22- الرازي، محمد بن أبي بكر، (1910م).مختار الصحاح.مصر: الأميرية.ط2.
23- الرازي، محمد بن عمر، (1993م).مفاتيح الغيب، بيروت: دار الغد العربي.
24- الرماني، الخطابي، الجرجاني(1976م)، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت/محمد خلف الله، محمدزغلول سلام، دار المعارف، ط3، القاهرة.
25- الزجاج، علي إبراهيم،(1988)م.معاني القرآن وإعرابه، ت/ عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت.
26- الزركشي، بدرالدين محمد بن عبدالله بن بهادر،(1376ه/ 1957م).البرهان في علوم القرآن، ت/محمد أبو الفضل 27- إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.
28-الزمخشري، جارالله أبوالقاسم محمود بن عمر، (1407ه).الكشاف عن خقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت.
29-الزملكاني، عبد الواحد بن عبد الكريم،(1410ه).المجيد في إعجاز القرآن المجيد، ت.د/شعبان صلاح، الدار الثقافية، القاهرة.
30- أبوالسعود،محمد بن محمد العمادي.(د.ت).إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
31- السكاكي، أبو يعقوب يوسف،(1982م). مفتاح العلوم، ت/ أكرم يوسف ، منشورات جامعة بغداد، م: الرسالة، بغداد.
32- السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن، شرح عقود الجمان،دارالفكر.د.ت
33- السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن، (د.ت)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، محمد أحمد جاد المولي، ط: الحلبي، مصر.
34- السيوطي، (1988م).معترك الأقران في إعجازالقرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.
35- الشوكاني، محمد بن علي، (1415ه، 1994م).فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ت/د.عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، مصر.
36-ابن طباطبا، محمد بن أحمد،(2005م).عيار الشعر، ت/عباس عبد الستارونعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت.
37- طنطاوي، محمد سيد.(1406ه/1978م)، التفسير الوسيط، ط3. مصر: دار نهضة مصر.
38- ابن عاشور، محمد الطاهر،(1984م).التحرير والتنوير، الدار التنوسية، تونس.
39- أبوعبيدة، معمر بن المثنى،(1981م). مجاز القرآن، ت/ محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
40-العلوي، يحيي بن حمزة بن علي بن إبراهيم، (1332ه/ 1914م).الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، م/ المقتطف، مصر.

41- ابن فارس،(1991م).مقاييس اللغة، ت/عبدالسلام هارون، دار الجيل، مصر.
42-الفرَّاء، أبو زكريا يحيى بن زياد،(1983م). معاني القرآن، دار الكتب، ط3.بيروت.
43- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم،(1393ه).تأويل مشكل القرآن، ت/السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، ط2، القاهرة.
44- العسكري، الحسن بن عبدالله بن سهل، (1319ه).الصناعتين، ت/ محمدأمينالخانجي، م الخانجي،مصر.
45- القرطبي، محمد بن أحمد،(1964م).الجامع لأحكام القرآن، ت/أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دارالكتب المصرية، ط2، القاهرة.
46- القرطاجني، أبو الحسن حازم، (1986م). منهاج البلغاء، وسراج الأدباء، ت/ محمد الحبيب ابـن الخوجـة، دار العـرب الإسلامي، ط3، بيروت.
47- القزويني، محمد بن عبد الرحمن،(1904م).التلخيص في وجوه البلاغة، ت/عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي.
48- قطب، سيد،(1402ه).في ظلال القرآن، دار الشروق، ط11، مصر.
49- القيرواني، ابن رشيق،(2004م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ت/عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، القاهرة.
50- الكاتب، ابن وهب،(1980م).نقد النثر(البرهان في وجوه البيان)، دار الكتب العلمية، بيروت.
51- المدني، علي صدر الدين بن معصوم،(1388ه).أنوار الربيع في أنواع البديع (مخطوط)، ت/شاكر هادي شكر، م:النعمان، النجف الأشرف.
52- مطلوب، أحمد، (1407ه/ 1987م).معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، م: المجمع العلمي العراقي، بغداد.
53- مطلوب، أحمد، (1989م). معجم النقد العربي القديم، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد.
54- ابن المعتز، عبدالله محمد، (1983م).البديع، ت/إغناطيوسكراتشقوفسكي، دارالمسيرة، ط3، الكويت.
55 - ابن منظور، (2000م).لسان العرب، دار صادر، بيروت للطباعة والنشر.
56- النابلسي، عبد الغني، (1299ه). نفحات الأزهار على نسمات الأسحارفي مدح النبي المختار بفن البـديع، مطبعـة نهـج الصواب، دمشق.